# الرمز الأسطوري في شعر البياتي

# The legendary symbol in Al-Bayati poetry

**إلياس مستاري**[1]

[1] كلية الآداب واللغات –جامعة بسكرة -الجزائرLyesmous05@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/12/12 تاريخ القبول: 2190/11/26 تاريخ النشر: 2019/12/25

**ملخص:**

يشكل الرمز الأسطوري في شعر البياتي وسيلة وعي للعالم، يمكن للإنسان أن يغير نفسه ،ويغير العالم أيضا، إنه يمثل حلولا لمشاكل الواقع ومآسي الإنسان المعاصر، كما يمثل دفاعا عن قضايا الحب و الموت و الثورة و الولادة، كل هذا بلغة متجددة.

**الكلمات المفتاحية:** الرمز الأسطوري، شعر البياتي، الإنسان المعاصر، الثورة، الحب.

**Abstract:**

The legendary symbol in Al-Bayati's poetry is a means of awareness to the world, a person can change himself, and change the world as well, it represents solutions to the problems of reality and the tragedies of modern man, as it represents a defense of the issues of love, death, revolution and childbirth, all in a renewed language.

**Key words**: legendary symbol, al-Bayati poetry, contemporary man, revolution, love

**المؤلف المرسل**: إلياس مستاري، **الإيميل**:Lyesmous05@gmail.com

## 1. مقدمة:

البياتي واسع الثقافة، اطلع على الأساطير القديمة، ووجد فيها مادة دسمة يغذي بها لغته الشعرية، وهذا يعتبر من مناحي التجديد والحداثة في شعره،« فقد وجد في الأسطورة تعبيرا عن تأمل الإنسان العفوي البدائي البعيد عن معطيات العقل والعلم... فاتخذها وسيلة غير مباشرة لتقديم المضامين الثورية والإنسانية لشعره»(عبد اللطيف أرناؤوط، 2004، صفحة 40).

وتوظيف الرموز الأسطورية بدأ مع البياتي منذ ديوانه الثاني (أباريق مهشمة)، ومن أهم الأساطير التي وظفها (عائشة، أورفيوس، برومثيوس، أنكيدو رفيق جلجامش، عوليس، السندباد، سيزيف، بينلوب)، والأساطير هي « مجموعة الحكايات الطريفة المتوارثة منذ أقدم العهود الإنسانية، الحافلة بضروب من الخوارق والمعجزات، التي يختلط فيها الخيال بالواقع»( أنس داود، 1975، صفحة 19).

وفيما يلي نعرض بعض الرموز الأسطورية التي وظفها البياتي.

## 2. رمز عائشة:

هو الرمز الشامل الذي لازم البياتي في مختلف الدواوين وهي المرأة التي ترمز إلى الحب المتجدد، قوة كونية موحدة، أو كما يقول البياتي عن هذه الشخصية: «هي الرمز الذاتي والجماعي للحب الذي اتحد كل منهما بالأخر وحلا في نهاية الأمر في روح الوجود المتجدد»(البياتي، 1981، صفحة 47)، ويواصل كلامه عن هذا الرمز الأسطوري في موقع أخر بقوله:«عائشة هذه ما هي إلا روح العالم المتجدد من خلال الموت: من أجل الثورة والحب، وهنا يلتقي الكائن المتناهي والكائن اللامتناهي في شخصية الشاعر والثوري»(البياتي، 1981، صفحة 48).

إن عائشة تمثل الحبيبة بالنسبة للشاعر ولكن هذه الحبيبة ليست إنسية من لحم ودم وإنما أنثى أسطورية كونية، شاهدة على كل العصور، يقول الشاعر:(الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 476)

**طفلة أنت وأنثى واعدة**

**ولدت من زبد البحر ومن نار الشموس الخالدة**

**كلما ماتت بعصر، بعثت**

**قامت من الموت وعادت للظهور**

**أنت عنقاء الحضارات**

**وأنثى سارق النيران في كل العصور**

فالأنثى في هذا المقطع أنثى حالمة وواعدة، طفلة صغيرة، وكما يقول البياتي كانت ترعى الغنم في ظل جبل التوباد، وهي أفروديت، إلهة الحب التي ولدت من زبد البحر ومن نار الشموس الخالدة كما تقول الأسطورة، وهي عنقاء (الطائر الأسطوري الذي يبعث بعد موته) وترمز إلى الانتصار على الموت، وهي زوجة بروميثيوس سارق النيران من الآلهة وإعطائها للبشرية، ويسميها الشاعر في بعض الأحيان (المرأة الأسطورة)، وبذلك فان (عائشة) تتقمص الأنثى أينما حلت في شعر البياتي يقول(الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 430):

**عائشة تشق بطن الحوت**

**ترفع في الموج يديها**

**تفتح التابوت**

**تزيح عن جبينها النقاب**

**تجتاز ألف باب**

**تنهض بعد الموت**

**عائدة للبيت**

وهي عشتار إلهة الخصب البابلية، يقول الشاعر(الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 437):

**فمتى عشتار للبيت مع العصفور والنور تعود؟**

وهي كذلك (لارا) و(خزامى)، (هند) و(صفاء)(عبد الوهاب البياتي ، بستان عائشة ط1، صفحة 7):

**حين انتظر الشاعر**

**ماتت عائشة في المنفى**

**نجمة صبح صارت:**

**لارا وخزامى / هندا وصفاء**

**ومليكة كل الملكات**

وعائشة كذلك صفصافة عارية الأوراق((الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 425)):

**عائشة عادت مع الشتاء للبستان**

**صفصافة عارية الأوراق**

**تبكي على الفرات**

وتارة فراشة في الحديقة((الشعريةالكاملة، 2001)):

**فراشة تطير في حدائق الليل إذا ما استيقضت باريس**

**يتبعها (أوليس)**

**عبر الممرات إلى (ممفيس)**

وعلى هذا فإن هذا الرمز الأسطوري يعيد صهر الأساطير والتجارب الدالة على الحب، وأصبح رمزا شعريا كبيرا قابلا لكل أشكال الحب والولادة والتجدد، ولذلك تماهت مع كل الرموز الأسطورية للحب وآلهة الجمال، وامتدت صلتها إلى فينوس نجمة السماء، وأفروديت عند اليونان والعُزى عند العرب وإيزيس في مصر، وبالتالي فإنها تلعب على الوتر الحساس للعاشق، وهو الشاعر الذي يقول((عبد الوهاب البياتي، كتاب المراثي، 1995، صفحة 133)):

**أهدى زهرة رمان عشتار**

**قبل عينيها**

**قال لها: أنت الآن: العزى**

**فينوس**

**أفروديت / وأنت المعبودة في كل الأزمان**

وهكذا تظل عائشة تظهر وتختفي، وهذا ما يتلازم مع ثنائية (الحياة، الموت)، «والتبادل بين النجم وعائشة، عشتار، كل المعبودات، يبرزه التقارب والمجاورة بينهما في علاقة الخصب، الجدب، الموت، الحياة،

فكلاهما يشكل سياق للعبور والتجاوز وأملا مستمرا في كل ما هو واعد بولادة جديدة من الموت»((محمد مصطفى علي حسانين، 2009، صفحة 209))، وتحمل عائشة كل الأوصاف التي تجعلها كائنا أسطوريا، التي تبدأ الولادة منها لتصبح أنثى أسطورية تتناهى فيها عناصر البعث والخصب والتجدد.

كما تحمل عائشة لكونها أنثى صفة العذرية، وتتمثل برمز العذرية في هذه الحياة وهي السيدة (مريم)، يقول الشاعر((الأعمال الشعرية الكاملة، صفحة 434)):

**أيتها العذراء**

**هزي بجذع النخلة الفرعاء**

**تساقط الأشياء**

وتواصل عائشة هذا التجلي، فهي تتجلى في صورة الأرض، وتتقمص روح بنات الماء، وتأخذ صورة عشيقة (وضاح اليمن) ومرة أخرى تكون (سيدة الأقمار السبعة)، وهكذا يتم هذا التماهي، والظهور والاختفاء، والمطاردة من طرف الشاعر ومن ثم يرتدي الشاعر قناع الخيام ويبحث عن عائشة التي كان يحبها في صباه، فتظهر ثم تفر وتختفي مما يجعل من فاعلية التحول فعلا مركزيا تتقاسم فيه الأدوار بين (البطل) و(عائشة) ويؤدي إلى تبادل الأدوار مع شخصيات أسطورية كما في (أوليس، بنيلوب)، (أدونيس وأفروديت) (إيزيس وأوزريس)، (باريس وهيلين)، وتنتقل حتى إلى حكايات الحب والشخصيات الشعرية (أبو فراس وجاريته)، (ليلى والمجنون)(وضاح اليمن، أم البنين) و(أبو نواس وجنان)، (العباس بن الأحنف وعشيقته) (ديك الجن وورد)، والى رويات عالمية مثل شخصيات (هاملت وأوفيليا)، (عطيل، ديدمونة)((حسانيين، الصفحات 221-222))

وفي التقاطع مع الخطاب الصوفي تصبح عائشة غزالة، وهو الرمز الذي استمده البياتي من كتاب (ابن عربي)، (ترجمان الأشواق)، وتتحد كذلك مع البحر ومع النار لتصبح عنصر من عناصر التدمير يقول الشاعر((عبد الوهاب البياتي ، بستان عائشة ط1، صفحة 88)):

**أنت حريق الغابات**

**وماء النهر**

**وسر النار**

وعلى هذا يصبح رمز عائشة رمزا معقدا في شعر البياتي، له دلالات كثيرة وينتقل من ديوان إلى ديوان عبر سيرته الشعرية حتى أخر ديوان له (نصوص شرقية 1999) الذي كتبه قبل وفاته.

وبعد هذا التوضيح لرمز عائشة فالسؤال المطروح: ما علاقة هذا الرمز الأسطوري بالواقع؟ وماذا يريد البياتي أن يقوله من خلال هذا الرمز؟ الجواب نجده في ديواني(الذي يأتي ولا يأتي) (والموت في الحياة)، ففي الديوان الأول حين ينزل (الخيام) الذي هو قناع الشاعر إلى العالم السفلي باحثا عن حبيبته عائشة، نجد أن عائشة مرتبطة بالحب والثورة، وغيابها أو حضورها مرتبط كذلك بهما، ففي ديوان (الذي يأتي ولا يأتي) يقول الشاعر((الأعمال الشعرية الكاملة)):

**عائشة ليس لها مكان**

**فهي مع الزمان في الزمان**

**ضائعة كالريح في العراء**

**ونجمة الصباح في المساء**

**فعد لنيسابور**

**لوجهها الأخر، يا مخمور**

**وثر على الطغاة والآلهة العمياء**

**والموت بالمجان والطغاة**

في هذا المقطع يرتبط غياب عائشة بغياب الثورة، وكاهن العالم السفلي يأمر (الخيام/الشاعر) بالثورة على الطغاة، وعائشة ليس مكان ولا زمان وهذا يعني أن الثورة موجودة في كل مكان فيه ظلم وليست مقيدة بزمان، وكذلك عائشة تنتقل من مكان إلى مكان تموت ثم تبعث من جديد لتجدد الحب.

وفي ديوان (الموت في الحياة) تعود عائشة متمثلة في الثورة، وذلك في قول الشاعر((الأعمال الشعرية الكاملة)):

**يا قدري المحتوم**

**تهاجر الثورة كالطيور**

**تعود مثل النور**

**تموت كالجذور**

**تبعث كالبذور**

وهذا التلازم بين عائشة وقيام الثورة يوجد في كل دواوين البياتي اللاحقة؛ لأن الثورة كما يقول الشاعر((الأعمال الشعرية الكاملة)):

**محتومة تظهر في السماء**

**علامة الثورة فوق السم والشرور**

**فهي عبور من خلال الموت**

**وصيحة عبر جدار الصوت**

وفي الأخير نقول إن هذه التحولات لهذا الرمز الأسطوري « يؤكد استمرارية الثورة وتؤدي هذه التجليات المختلفة لعائشة وظيفة رمز الحب والولادة المتجددة في العملية الخلاقة للفنان الثوري الذي ينشد الموت من أجل الثورة ويحقق الخلود من خلال فنه، هي ينبوع الخلود الذي ينشده البياتي...إنها القوة الرمزية الخلاقة للحب والتجدد والثورة التي تتكافل من حيث جوهرها»((رزق، 1995، صفحة 147))، وتظل عائشة تظهر وتختفي، وتتماهى ما دام مطلب الثورة لم يتحقق على أرض الواقع، ويظل الشاعر يبحث عن (عائشة / الثورة) في كل مكان وزمان، في برلين، ومدريد وموسكو وطهران وكردستان وفلسطين، وهذا معناه أن هذا الرمز يمتد ليلتحم بنكسات الأمة العربية قبل حزيران وبعده وبموت الثائر الكبير (جيفارا)، والشاعر الاسباني الكبير (لوركا).

وهكذا ظل البياتي بتوظيفه هذا الرمز الأسطوري وإسقاطه على الواقع طول حياته ثوريا يناشد الحرية في كل مدن العالم، وظل هذا الحلم يراوده في يقظته وفي منامه، وبقي إيمانه (بالثورة والحب/عائشة) متواجدا في دواوينه حتى أخر ديوان (نصوص شرقية)، ف(عائشة / المرأة) تبقى ثائرة متقدة حتى بعد موتها: يقول الشاعر((البياتي،، 1999، صفحة 52)):

**المرأة،**

**قادرة على الاحتفاظ**

**بحرارة جسدها،**

**وبطعم قبل عشاقها**

**وبرائحة الورد والياسمين**

**حتى بعد موتها**

وما هذه المرأة حسب رأينا إلا (عائشة/ الثورة، الحب)التي لا تموت أبدا وتتجدد دائما.

**3. بروميثيوس:**

وظف الشاعر هذا الرمز ليعكس ثورته ضد الفوضى واللا نظام، وبغية التجدد والديمومة، وهو في سعيه لتحقيق العدالة ومساعدة الإنسان « يبحث دائما عن بروميثيوس جديد، عن بطل يثور ليس من أجل ذاته فقط بل ومن أجل الآخرين، ويوجب على بروميثيوس أن يقوم بإجراء ما، أن يتصرف ليقيم العدالة بين البشر»((رزق، شعر عبد الوهاب البياتي في دراسة أسلوبية، صفحة 137)).

وتقول الأسطورة إن بروميثيوس قد سرق النار من الشمس ومنحها لبني الإنسان، ومن ثم أصبح الإنسان قادرا على فعل أي شي، لأنه يمتلك أسرار الآلهة، يقول الشاعر((الأعمال الشعرية الكاملة، صفحة 454)):

**مددت للشمس يدي، فاخضرت الأشجار**

**أمسكت بالنهار**

**وهو يولي هاربا في عربات النار**

**توهج الرماد في أصابعي وطارت العنقاء**

وتعود الأسطورة لتخبرنا أن بروميثيوس عندما سرق النار عاقبه الإله زيوس بأن أمر« بتقييد بروميثيوس على صخرة وأرسل عليه نسرا ينهش من كبده كل يوم فيلتئم الكبد ليعود النسر إلى قضمه... وبالتالي تتجدد آلام بروميثيوس»((الخطيب، 2007، صفحة 51)).

وعليه فإن سارق النيران قد عوقب بشده إلى صخرة وأخذت النسور تنهش في لحمه وهذا ما يصوره في قوله((الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 457)):

**بكى أبو العلاء**

**وهو يراني في ثياب الأسر**

**ينهش صدري النسر**

**منتظرا مع الملايين طلوع الفجر**

وهذه هي المعاناة والإصرار على نبذ الظلم والصمود في وجه الأعداء من أجل الإنسان، ويبقى الشاعر يأمل في وجود بطل ومنقذ للإنسان يأخذه إلى المدينة الفاضلة، وهذه هي المميزات التي يتصف بها بطل البياتي (بروميثيوس) وهو دائما يمضي حاملا ناره لمستقبل أفضل وعصر جديد، رافضا لأية مساواة أو معاهدة سياسية، يقول الشاعر((الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 480)):

**وها أنا طريد**

**حاملا ناري إلى عصر جديد**

**رافضا كل الشعارات ومصلوبا على بوابة الرفض**

**وملعونا وحيد**

**تقتفي خطوك من منفى إلى منفى عيون المخبرين.**

هكذا هو البطل النموذجي للبياتي، فهو صامد مثل صمود بروميثيوس، لا يفاوض ولا يهادن بل يموت من أجل قضية الإنسان، ومن أجل هذا ألف البياتي ديوانا بعنوان (سيرة ذاتية لسارق النار)، ويمجد أي إنسان يعاني من أجل الآخرين، وقد أهدى الشاعر بعض القصائد من هذا الديوان لشاعرين كبيرين تأثر بهما البياتي كثيرا (بابلونيرودا) حيث أهدي له قصيدة (القربان)، والشاعر التركي(ناظم حكمت) وقد أهدي له قصيدة (الموت في البسفور)، وهذا كله في سبيل البحث عن البطل النموذجي الذي ينشده الشاعر ليغير الواقع الراهن يقول الشاعر((الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 557)):

**كان سارق النار مع الفصول يأتي**

**حاملا وصية الأزمنة – الأنهار،**

ويواصل البياتي البحث بقوله((الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 576)):

**بحثت من حان إلى حان، ومن منفى إلى منفى**

**عن الوجه الذي يحمله سارق نار الشعر**

**في معابد – الآلهة – الإنسان**

**عن أميرة المنفى التي كنا وراء شعرها الأحمر**

**في مدينة الطفولة–المعابد–الأسواق نجري**

**لاهثين، نشرب الأنخاب**

فالأسطورة ليست حكاية تسرد على المسامع ليمتع الشاعر بها سامعيه، وإنما وسيلة ورمز يدعم الرؤيا، لجأ إليها الشاعر ليشخص الحياة الإنسانية ويشكلها وفق عالم الأسطورة ليحقق مبتغاه ويعمق رؤياه.

### 4. رموز أسطورية أخرى:

كما وظف البياتي رموزا أسطورية أخرى كأسطورة (سيزيف) الذي عوقب من طرف الآلهة بجر صخرة عظيمة، يقول البياتي((الشعريةالكاملة، 2001، الصفحات 129-130)):

**عبثا نحاول أيها الموتى الفرار**

**من مخلب الوحش العنيد**

**من وحشة المنفي البعيد**

**الصخرة الصماء للوادي يدحرجها العبيد**

**سيزيف يبعث من جديد من جديد**

**في صورة المنفي الطريد**

فسيزيف يجر الصخرة نحو القمة لتسقط إلى السفح، ثم يعاود حملها من جديد، وهذه الفكرة تعكس العبث واللامعقول، وبهذا فسيزيف رمز للجهود الإنسانية الضائعة في تحقيق العدالة والمساواة، وهذا ما يرمي إليه الشاعر لأن حالة سيزيف أقرب إلى حال الإنسان في العصر الحاضر.

كما يستخدم البياتي رمزا أسطوريا آخر هو (السندباد) من أبطال (ألف ليلة وليلة)، ويضعه قناعا ليعبر عن شخصية جواب آفاق، يقطع البحار ويدخل الكهوف والمغارات، ودائم السفر والترحال، ولا ييأس لأنه مفعم بالأمل، وهذا يعكس شخصية الشاعر في طموحه وعذابه وأمله في انتصار الثورة، لكنه يصطدم بالواقع المر، ويخيب أمله أخيرا مرتقبا فجر الحرية الذي يبدو بعيدا.((عبد اللطيف أرناؤوط، 2004، صفحة 62)) يقول الشاعر((الشعريةالكاملة، 2001، صفحة 521)):

**أحلم في عصر فضاء النور والإنسان والقيثار**

**وسندباد مدن الكواكب الأخرى مع شواطئ الذاكرة الجديدة**

**يجرفه التيار**

**يحمل في قاربه نبوءة الرياح**

**ووردة ذابلة مصبوغة بالحبر والنبيذ**

**تكشف عن حضارة غارقة في قاع بحر اللون والإيقاع**

**يصعد من كهوفها المهرجون وبنات الماء والطيور**

**وخدم الفنادق**

في الأسطر السابقة جاء رمز السندباد صورة حقيقية لمعاناة الشاعر« يستدعي السندباد ويتقمص شخصيته ويتوحد به ويستعير وجهه قناعا، ويغير بعض ملامحه التراثية، ويلقى على القناع تجربته الشخصية القاسية، وإذا هو سندباد جديد مهزوم فقد انتصرت عليه الأهوال وهزمته الأقدار»((السعيد لراوي، 2004، صفحة 222)).

## 5. خاتمة:

لقد أطلع البياتي على الأساطير، واستكشف برؤياه الأسطورية صفات الإنسان في ظل الحضارات العربية والإسلامية العظيمة، والحضارات العالمية، وفي لجوئه للرمز الأسطوري لم يكن هروبا من الواقع بل على العكس من ذلك، إنه يريد حلولا لمشاكل الواقع، ومآسي الإنسان المعاصر، ولم يحلق في الخيال بل عالج الواقع المعيش من خلال الماضي، عالج قضايا الحب والموت، الثورة والولادة، وبالتالي فإنه يسل الجديد من القديم، ويقرب الشعر أكثر من الشعب، حيث يربط ماضيه بحاضره، وحاضره بمستقبله، ولكن بلغة متجددة.

والبياتي أراد من الرمز الأسطوري أن يغدو وسيلة وعي للعالم أعمق، يمكن الإنسان من تغيير نفسه، ومن تغيير العالم أيضا، وبهذا فقد رد الأسطورة قالبا رمزيا يعيد فيه الشخصيات والأحداث والمواقف الخيالية إلى شخصيات وأحداث ومواقف عصرية.

## 5. قائمة المراجع:

**المؤلفات:**


1. أنس داود، (1975)، الأسطورة في الشعر العربي الحديث،دار جيل للطباعة، القاهرة مصر.
2. الأعمال الشعرية الكاملة .(s.d.) .الأعمال الشعرية الكاملة.
3. البياتي عبد الوهاب، (1981) ، تجربتي الشعرية،دار العودة، بيروت، لبنان.
4. البياتي عبد الوهاب، (1999) ، نصوص شرقية، دار المدى للثقافة و النشر،دمشق، سوريا.
5. الخطيب محمد، (2007)، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا.
6. البياتي عبد الوهاب، (2001) .الأعمال الشعرية الكاملة مج1، ط1، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، العراق.
7. رزق خليل، (1995)، شعر عبد الوهاب البياتي في دراسة أسلوبية، مؤسسة الأشرف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
8. عبد اللطيف أرناؤوط، (2004)، عبد الوهاب البياتي رحلة الشعر والحياة، مؤسسة المنار بيروت، لبنان.
9. عبد الوهاب البياتي، 1989 (s.d.) ، بستان عائشة ط.1 دار الشروق، القاهرة، مصر.

10. عبد الوهاب البياتي، (1995) ،كتاب المراثي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت ,لبنان

11. محمد مصطفى علي حسانين، (2009)، خطاب البياتي الشعري، الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة، مصر.

**المقالات:**

1. السعيد لراوي. (جوان، 2004). الرمز الأسطوري ودلالته في شعر بدر شاكر السياب، مجلة العلوم الإنسانية، صفحة 222.